



[qassimsalihy@yahoo.com](mailto:qassimsalihy@yahoo.com)

## فلسطينيان... أحبا العراق وأبدعنا فيه (جبرا ابراهيم جبرا - د.علي كمال)

أ.د. قاسم حسين صالح - علم النفس - رئيس الجمعية العراقية لعلم النفس

تناولنا في الحلقة الأولى العقل المتعدد المواهب الراحل (جبرا ابراهيم جبرا) ونخصص هذه الحلقة للدكتور الفلسطيني المولد (علي كمال) فنقول.. ولد الطبيب النفسي الدكتور علي كمال عام 1918 بمدينة عنتابا - الواقعة بضواحي جنين في عائلة مثقفة شكلت لديه اهتماما مبكرا في الأدب اسهم في تنميتها خلال الدراسة الثانوية في القدس زميله الأديب الكبير جبرا ابراهيم جبرا. ويعدّ هو واثان آخران اشهر ثلاثة اسماء بميدان علم النفس اسهموا بتأسيس وعي سيكولوجي مبكر في العراق بالامراض العقلية والأضطرابات النفسية، الأول هو الطبيب النمساوي هانز هوف.. احد تلاميذ فرويد، هاجر من النمسا الى العراق عام 1938 وعمل استاذا في الكلية الطبية الملكية ببغداد. والثاني هو الدكتور جاك عبود، طبيب يهودي عراقي شهير من اوائل الدارسين في الكلية الطبية الملكية ببغداد ومؤسس مستشفى الشماعية.

اما الثالث فهو الدكتور علي كمال، المتخصص بعلاج الأمراض النفسية والعقلية الذي دعي من بريطانيا عام 1951 للعمل ببغداد، وتم تعيينه بتوصية من تحسين قدرتي رئيس تشريفات القصر الملكي في الكلية الطبية الملكية، عمل في مراكز تدريسية وإدارية مختلفة، وعاش وعمل في العراق استاذاً ورئيساً لقسم الصحة النفسية في جامعة بغداد طوالت اكثر من خمسة وثلاثين عاما.

### اللقاء الأول

كنت طالبا بالمرحلة الأخيرة بقسم علم النفس ودخل الدكتور علي كمال ليلقي علينا محاضرة في الصحة النفسية استهلها بتبيان أهمية الصحة النفسية ووصل الى القول بأن هناك علاقة بين قوّة بين علم النفس والأدب بكل فنونه لا سيما الرواية والشعر. وتوجه لنا نحن الطلبة بالسؤال : من فيكم مهتم بالأدب ويكتب في الصحف؟

### كنت جالسا في الخط الأول، التفت الى الوراء فلم ار يدا ترفع، فرفعت يدي.

كنا نحن جيل الستينات نحب القراءة ولدينا شغف كبيرة بالأدب.. وكانت مقهى (البرازيلية) ملتقى المنقّفين تشبه تماما مقهى هافانا في دمشق الذي التقيت فيه بالراحل مظفر النواب واجريت معه حوارا ودار نقاش بيني وبين الدكتور علي.. ادهشني انه ليس طبيبا نفسيا فقط بل وأديبا ايضا. ولحظة انتهى وقت المحاضرة ونهض.. مد يده لي واخذني الى غرفة الأساتذة، وكنت أرى اعجابه بي من تعابير وجهه. فدعاني الى زيارته بمركز الصحة النفسية الذي اسسه بجامعة بغداد وعرض عليّ اوائل السبعينات ان اكون معه عصرا في عيادته بشارع الرشيد وكنت في غاية الفرح أن يخصني بهذا التميّز.

ولد الطبيب النفسي الدكتور علي كمال عام 1918 بمدينة عنتابا - الواقعة بضواحي جنين في عائلة مثقفة شكلت لديه اهتماما مبكرا في الأدب اسهم في تنميتها خلال الدراسة الثانوية في القدس زميله الأديب الكبير جبرا ابراهيم جبرا

الدكتور علي كمال، المتخصص بعلاج الأمراض النفسية والعقلية الذي دعي من بريطانيا عام 1951 للعمل ببغداد، وتم تعيينه بتوصية من تحسين قدرتي رئيس تشريفات القصر الملكي في الكلية الطبية الملكية، عمل في مراكز تدريسية وإدارية مختلفة، وعاش وعمل في العراق استاذاً ورئيساً لقسم الصحة النفسية في جامعة بغداد طوالت اكثر من خمسة وثلاثين عاما.

كنت طالبا بالمرحلة الأخيرة بقسم علم النفس ودخل الدكتور علي كمال ليلقي علينا محاضرة في الصحة النفسية استهلها بتبيان أهمية الصحة النفسية ووصل الى القول بأن هناك علاقة بين قوّة بين علم النفس والأدب بكل فنونه لا سيما الرواية والشعر

دعائي الى زيارته بمركز الصحة النفسية الذي اسسه بجامعة بغداد وعرض عليّ اوانل السبعينات ان اكون معه عصراً في عيادته بشارع الرشيد وكنت في نهاية الفرع ان يخصني بهذا التمييز

من المفارقات التي ما تزال مشفرة في الذاكرة، ان مريضا دخل عليه، وبعد ان وجه له عددا من الأسئلة، نهض ومدّ يده لي وأخذني الى الباب يسألني (شلونك بالدراسة.. ولازم تكمل دراستك) وترك المريض يحكي لحاله. ولأنني لم اطق صبرا.. سألته: دكتور.. اشو تركت المراجع يحكي لوحده.. فاجاب: (عوفه.. هس يخلص).. والتفت الى المريض وقال له: (ها.. خلصت؟!.. يله تعال). فاخذه الى غرفة اخرى وأنا معه ومدده على سرير وربط برأسه اسلاكاً واعطاه رجّة كهربائية وارتجت بداخلي!. وحين عدنا الى مكتبه.. شرح لي حالة المريض بأنه مصاب بشيزوفرينيا وأن علاجه هو الرجّة الكهربائية التي اعتدت عليها بعد سنوات في عملي بمستشفى الشماعية (الرشاد حالياً).

انحى الدكتور علي كمال المكتبة العربية بعشرة مجلدات في مجال تخصصه، اهمها:  
• النفس، انفعالاتها وأمراضها وعلاجها  
• العلاج النفسي قديماً وحديثاً  
• باب العيب بالعقل  
• فصام العقل (الشيزوفرينيا)  
• العلاج النفسي قديماً وحديثاً  
• باب العيب بالعقل

لأنني كنت أدرس بقسم علم النفس بكلية الآداب جامعة بغداد مادة علم نفس الشخصية، ورغم أنني مؤلف كتاباً منهجياً عنها فانني كنت ادعو طلبتي الى قراءة كتاب الدكتور علي (النفس...) ويركزوا على الأول الخاص بالأضطرابات النفسية والثاني الخاص بالشخصية

بدءاً من خمسينيات القرن الماضي الى تسعينياته، قدّم

كنت اجلس بنفس المكتب الذي يستقبل فيه المراجعين، واصغي الى طريقة حوار مع المريض ونوعية الأسئلة التي يوجهها له. وكان احياناً يصفن وينظر لوجه المريض عرفت بعدها انها (لغة الجسد) التي يستعين بها في فهم حالة المريض.

ومن المفارقات التي ما تزال مشفرة في الذاكرة، ان مريضاً دخل عليه، وبعد ان وجه له عددا من الأسئلة، نهض ومدّ يده لي وأخذني الى الباب يسألني (شلونك بالدراسة.. ولازم تكمل دراستك) وترك المريض يحكي لحاله. ولأنني لم اطق صبرا.. سألته: دكتور.. اشو تركت المراجع يحكي لوحده، فاجاب: (عوفه.. هس يخلص).. والتفت الى المريض وقال له: (ها.. خلصت؟!.. يله تعال). فاخذه الى غرفة اخرى وأنا معه ومدده على سرير وربط برأسه اسلاكاً واعطاه رجّة كهربائية وارتجت بداخلي!. وحين عدنا الى مكتبه.. شرح لي حالة المريض بأنه مصاب بشيزوفرينيا وأن علاجه هو الرجّة الكهربائية التي اعتدت عليها بعد سنوات في عملي بمستشفى الشماعية (الرشاد حالياً).

طبيبي نفسي.. غزير الأنتاج بجودة عالية

أغنى الدكتور علي كمال المكتبة العربية بعشرة مجلدات في مجال تخصصه، اهمها:

• النفس، انفعالاتها وأمراضها وعلاجها

• النفس والجنس

• أبواب العقل الموصدة - باب النوم والأحلام

• فصام العقل (الشيزوفرينيا)

• العلاج النفسي قديماً وحديثاً

• باب العيب بالعقل

ويعدّ كتابه (النفس.. أنفعالاتها وأمراضها وعلاجها) اهمها، او لنقل اقربها الى علم النفس والناس بشكل عام لأنه كتب بلغة عربية رشيقة سلسلة مفهومة، مهد له بمقولة للشاعر الأنكليزي تي اس اليوت: (كيف أستطيع أن أفسر لكم؟.. ستفهمون الأقل بعد تفسيرها.. كل ما يمكن أن ارجو أفهامه لكم.. هي الحوادث فقط، وليس الذي حدث). وختمها بتساؤلات ما هو المريض نفسياً؟ من هو المريض عقلياً؟ ما هي الأمراض النفسية؟ وما مدى أنتشارها. ولأنني كنت أدرس بقسم علم النفس بكلية الآداب جامعة بغداد مادة علم نفس الشخصية، ورغم انني مؤلف كتاباً منهجياً عنها فانني كنت ادعو طلبتي الى قراءة كتاب الدكتور علي (النفس...) ويركزوا على فصلين الأول الخاص بالأضطرابات النفسية والثاني الخاص بالشخصية.

### خدمات علمية جلية

بدءاً من خمسينيات القرن الماضي الى تسعينياته، قدّم الدكتور علي كمال خدمات جلية في ميدان تخصصه نوجز أهمها بالآتي:

• عالج عشرات الالاف من المرضى العراقيين بكل تقاني واخلاص ،

• حث الدولة العراقية على ارسال الخريجين للتخصص في الجامعات العالمية،

• اشرف على تدريب الطلبة والاطباء حديثي التخرج مشجعا اياهم على الانضمام لهذا الاختصاص الذي لايشهد اقبالاً كبيراً،

• له الفضل في ارساء نظام الابتعاث الحكومي للطباء العراقيين من اجل نيل اعلى شهادة الاختصاص والتدريب في المملكة المتحدة، واستطاع بمكانته العلمية والاجتماعية المميزة كسب تاييد الدولة في الاهتمام بالطب النفسي.

• و تأسيسه للوحدة النفسية في مستشفى اليرموك التعليمي عام 1978 بدعم من الرئاسة العراقية انذاك

وكانت تعد وحدة نموذجية من حيث المعمار والتنظيم والتجهيز"

## يحب الحب والمرأة والفن والأدب

في تسعينيات القرن الماضي كانت تصدر اشهر مجلة في العراق هي (الف باء) فحرصت على ان اجري حوارا معه نشر في العدد (15 آب 1990) بدأ هكذا:

(ان يعمل انسان لاربعين سنة طبييا نفسيا فإن هذا وحده يكفي لان يجعله مشهورا فكيف اذا كان ايضا استادا جامعا وكاتبا مقروءا. لقد امتلك الدكتور علي كمال وسائل الشهرة الثلاث: العيادة الطبية والجامعة والكتاب فأصبح بين المعدودين الذين يحظون بشهرة واسعة)

ودار الحوار حول موضوعات متنوعة.. الحب، الفن العراقي، المرأة، الكتابة.. وحين سألته عما يميز نفسه عن الأطباء النفسيين أجاب:

• انا على خلاف الاطباء، وجهت اهتماماتي منذ البداية الى محاولة اقامة حالة من التوازن في الحياة. فلسفتي ان اترك جزءا من مشاكلي للزمن كي يحلها، فترك المشكلة ولو لفترة سيسهل تناولها.

## وعن الحب والمرأة ..أجاب:

• انا لم اتوقف عن الحب يوما فالحب لي وبمعانيه وعناصره الواسعة هو بمثابة الوسيلة التي اتحسس بها بالحياة، وأنه يقدر المرأة ويحترمها ويشعر ان الاله في حياة الانسان هي أمه. ولا بد ان يكون بين الزوج والزوجة حالة من السكن والايقاع النفسي الواحد والانسجام وأضاف: "تأكد ان 90% من الحياة الزوجية في مجتمعنا لا يعيشون حياة مستقرة بسبب انعدام الايقاع النفسي فيها وما عاد الواحد منهما " يسكن للأخر."

وعن رأيه بالفن كطبيب نفسي..أجاب:

• الفن تسامي يؤدي الى الطاقة ويحول الطاقة الى نشاطات فيها الكثير من الابداع، والحركة التشكيلية العراقية حركة رائدة سبقت مثيلاتها في الوطن العربي زما وفاقتهما زما وابداعا وهو واقع تقر به البلدان العربية. وما يميز المبدع العراقي انه حريص وجاد ومتابر لكن باكورة نتاجه افضل من نهاياتها.

## سألته عن مزاجه عند الكتابة فقال:

• انا لا اعمل شيئا لا ارجب فيه، لا اكتب لمجاملة الكتابة. انا اكتب فقط عندما اشعر برغبة في الكتابة.. اجد فيها ما يشبه عملية الولادة عند المرأة. قد يسبق ذلك ان اقرأ لمدة اسبوع.. اسبوعين ثم اتوقف عن القراءة.. الكتابة هي ان اطوع شيئا في نفسي.. لا اخط لكلمة واحدة الا ويكون لها معنى وسياق، وليس عندي مزاج خاص كمزاج ديستوفسكي مثلا في ان ترتب له زوجته مكتبته وتحلق له جوا خاصا.. الجو بالنسبة لي داخلي وليس خارجيا"

وفاجأني انه اعتبر القلق فضيلة بين الأدب وعلم النفس!

عليك .. بدستوفسكي!

كنت أعرف ان الدكتور علي كمال أديبا، تجرأ وهو في بدايات شبابه بنشر مقالة بمجلة (الرسالة) قال فيها ان ترجمات العقاد عن اللغات الأخرى غير دقيقة، وأنه التقى العقاد في القاهرة وصارا اصدقاء. وقابل توفيق الحكيم، وذكر عنه معلومة غير معروفة ان "الحكيم طلب لي فنجان قهوة على حسابه وتلك من

الدكتور علي كمال خدماته  
جليلة في ميدان تخصصه نوجز  
أهمها بالآتي:  
• علاج عشرات الآلاف من  
المرضى العراقيين بكل تفاني  
واخلاص ،  
• عضو الدولة العراقية على ارسال  
الخريجين للتخصص في الجامعات  
العالمية،  
• اشرفه على تدريب الطلبة  
والاطباء حديثي التخرج مشجعا  
ايامهم على الانضمام لهذا  
الاختصاص الذي لا يشهد اقبالا  
كثيرا.

انا على خلاف الاطباء، وجهت  
اهتماماتي منذ البداية الى  
محاولة اقامة حالة من التوازن  
في الحياة. فلسفتي ان اترك جزءا  
من مشاكلي للزمن كي  
يحلها، فترك المشكلة ولو لفترة  
سيسهل تناولها

انا لم اتوقف عن الحب يوما  
فالحب لي وبمعانيه وعناصره  
الواسعة هو بمثابة الوسيلة التي  
اتحسس بها بالحياة، وأنه  
يقدر المرأة ويحترمها ويشعر ان  
الاله في حياة الانسان هي أمه

الفن تسامي يؤدي الى الطاقة  
ويحول الطاقة الى نشاطات فيها  
الكثير من الابداع، والحركة  
التشكيلية العراقية حركة رائدة  
سبقت مثيلاتها في الوطن  
العربي زما وفاقتهما زما  
وابداعا وهو واقع تقر به  
البلدان العربية

انا لا اعمل شيئا لا ارجب فيه، لا  
اكتب لمجاملة الكتابة. انا  
اكتب فقط عندما اشعر برغبة  
في الكتابة.. اجد فيها ما يشبه  
عملية الولادة عند المرأة. قد  
يسبق ذلك ان اقرأ لمدة اسبوع  
.. اسبوعين ثم اتوقف عن

ذات يوم أدهشني الدكتور علي كمال لحظة قال لي: تريد تفهم علم النفس زين وتحبه..اقرأ روايات دستوفيسكي! . فرحت اعيد قراءة رواية (الجريمة والعقاب) وشخصية بطل الرواية (راسكولنكوف) فوجدته يعاني عقدة الشعور بالذنب بعد ارتكابه جريمة القتل. ورحت أقرأ ما كتبه فرويد عن دستوفيسكي فادهشني انه وصف دستوفيسكي بانه معلم كبير في علم النفس وقال بالنص ( لا اكاد انتهي من بحث في مجال النفس الانسانية حتى اجد دستوفيسكي قد تناوله قبلي في مؤلفاته). لكن فرويد اعتبر رواية (الأخوة كارامزوف ) أعظم رواية كتبت على الاطلاق. ورحت اقرا الأبله والمقامر فوجدت ان معظم شخصياته تعاني من امراض نفسية: اكتئاب ،قلق ، شعور بالذنب...وان فرويد اعتمد على روايات دستوفيسكي للعديد من الاستنتاجات التي تتعلق بمرض الصرع والقمار الذي اعتبره طريقة نفسية لمعالجة الذات.

رحت اقرا الأبله والمقامر فوجدت ان معظم شخصياته تعاني من امراض نفسية: اكتئاب ،قلق ، شعور بالذنب...وان فرويد اعتمد على روايات دستوفيسكي للعديد من الاستنتاجات التي تتعلق بمرض الصرع والقمار الذي اعتبره طريقة نفسية لمعالجة الذات

النوادر ان تحصل لأي كان لما عرف عنه من البخل.!

وذات يوم أدهشني الدكتور علي كمال لحظة قال لي: تريد تفهم علم النفس زين وتحبه..اقرأ روايات دستوفيسكي! . فرحت اعيد قراءة رواية (الجريمة والعقاب) وشخصية بطل الرواية (راسكولنكوف) فوجدته يعاني عقدة الشعور بالذنب بعد ارتكابه جريمة القتل. ورحت أقرأ ما كتبه فرويد عن دستوفيسكي فادهشني انه وصف دستوفيسكي بانه معلم كبير في علم النفس وقال بالنص ( لا اكاد انتهي من بحث في مجال النفس الانسانية حتى اجد دستوفيسكي قد تناوله قبلي في مؤلفاته). لكن فرويد اعتبر رواية (الأخوة كارامزوف ) أعظم رواية كتبت على الاطلاق. ورحت اقرا الأبله والمقامر فوجدت ان معظم شخصياته تعاني من امراض نفسية: اكتئاب ،قلق ، شعور بالذنب...وان فرويد اعتمد على روايات دستوفيسكي للعديد من الاستنتاجات التي تتعلق بمرض الصرع والقمار الذي اعتبره طريقة نفسية لمعالجة الذات.

تري كم من الأطباء النفسيين والأستشاريين العرب والعراقيين يجمع هاتين الصفتين الجميلتين في الدكتور علي كمال: الأهتمام بالأدب ، ورعاية الطالب الذي ينبؤه حدسه العلمي بأنه سيكون متميزا؟ فضلا عن اثرائه المكتبة العربية بمؤلفات اصيلة تشيع ثقافة التناؤل وحب الحياة بين الذين يملكهم الشعور باليأس.

الذكر الطيب للعالم والطبيب والأديب..النقي الوفي (علي كمال) الذي قال: (فلسطين امي والعراق خالتي التي ربتني)

وشكرا لمؤسسة المدى التي  
استذكرته في امسية جميلة  
من أمسيات معرض العراق  
الدولي للكتاب كان لنا  
شرف التحدث فيها.

إرتباط كامل النص:

<http://www.arabpsynet.com/Documents/Doc.Quassim-AliKamel.pdf>

\*\*\* \*\*

## شبكة العلوم النفسية العربية

نحو تعاون عربي رفيا بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي

<http://www.arabpsynet.com/>

المتجر الإلكتروني

<http://www.arabpsyfound.com>

الكتاب السنوي 2023 1 " شبكة العلوم النفسية العربية " (الاصدار الخامس عشر)

الشبكة تدخل عامها 24 من التأسيس و 21 على الوبج

24 عاما من الضح... 12 عاما من المنجزات

( التأسيس: 2000/01/01 - على الوبج: 2003/06/13 )

<http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf>

كتاب " حصاد النشاط العلمي لمؤسسة العلوم النفسية العربية للعام 2021

التحميل من الموقع العلمي

<http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet-AIHassad2021.pdf>